Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9) Issue (3) March(2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

إدارة مؤسسة الوقف النسائي في العصر العباسي الأخير (٥٧٥-٦٥٦هـ) دراسة في الاستدامة المالية والأثر المجتمعي

فلاح صباح شايع

كلية التربية للعلوم الصرفة /جامعة ديالى

Management of the Women's Waqf Institution in the Late Abbasid Period (575–656 AH): A Study of Financial Sustainability and Societal Impact

NAME:FALAH SABAH SHAYA
falah_sbh@uodiyala.edu.iq

(الملخص)

تتناول هذه الدراسة إدارة مؤسسة الوقف النسائي في أواخر العصر العباسي (٥٧٥–٦٥٦هـ)، مع إبراز التحول من الصدقات الفردية العشوائية إلى مشاريع تنموية مؤسسية. وتهدف إلى تحليل آليات الإدارة التي ضمنت الاستدامة المالية والمعنوية لهذه الأوقاف في ظل تقلبات سياسية حادة. كما تبرز دور النساء العالمات والقيادات النسائية في بغداد في بناء نموذج إداري فعال قائم على تنويع الأصول بين العقارات الحضرية والقرى الزراعية. وتناقش الدراسة اعتماد أدوات فقهية مرنة كالإجارة والحِكر، وتقديم مبدأ (عمارة الوقف على الصرف) لضمان ديمومة المنشآت. وتكشف عن هيكل تنظيمي مستقل ضم نظارا ومستوفين بعيدًا عن دواوين الدولة. وتخلص إلى أن الوقف النسائي أسهم في تعزيز الأمن الاجتماعي والحراك العلمي عبر دعم التعليم والرعاية الاجتماعية حتى بعد سقوط بغداد.الكلمات المفتاحية : الوقف النسائية ،الاستدامة المالية ، العصر العباسي الاخير ،بغداد، الأصول)

(Abstract)

This study examines the management of women's waqf institutions in the late Abbasid period (575–656 AH), highlighting the shift from ad hoc individual charity to institutionalized development-oriented projects. It analyzes the governance mechanisms that ensured financial and moral sustainability amid severe political volatility. The study emphasizes the role of learned and elite women in Baghdad in building an efficient management model based on asset diversification between urban real estate and agricultural villages. It discusses the use of flexible juristic instruments such as leasing (ijāra) and ḥikr and the prioritization of asset maintenance over expenditure to secure continuity. The research reveals an autonomous organizational structure, led by trustees and financial officers operating independently from state bureaus. It concludes that women's waqf significantly enhanced social security and scholarly mobility through sustained support for education and social welfare, even after the fall of Baghdad.Keywords(:Women's Waqf، Financial Sustainability، The Late Abbasid Period،'Baghdad، Assets)

المقدمة

يعد العصر العباسي الأخير (٥٧٥–٦٥٦هـ) فترة تاريخية مميزة كان لها عدة محاولات لاستعادة مكانة الخلافة واستقلالها السياسي، خاصة بعد انتهاء سيطرة العناصر الأجنبية مثل البويهيين والسلجوقيين. ومن خلال هذه التحولات السياسية والاجتماعية، ضهر دور كبير للمرأة العباسية وبالأخص أمهات وزوجات الخلفاء وعرفن بلقب (الجهات) كونهن كشريك فاعلات في بناء اركان الدولة ومؤسساتها، لتعبر دور(الحريم) لتصبح بعدها قوة فاعلة لها دور في الحياة العامة واتخاذ القرارات المهمة (عباسي وآخرون، ١٤٠٠، ص: ٤٦؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٢٧)كان لـ (مؤسسة الوقف) اثر بارز في ابراز دور النساء بشكل واضح ,تعد هذه المؤسسة عبادة مالية لها تأثير اجتماعية واقتصادية كبير، سهلت للمرأة

تحويل ثرواتها و اموالها الخاصة إلى هبات و ثروات مجتمعية دائمة (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٢٧). أن اغلب الدراسات التاريخية و ومن خلال البحوث توجهت الى اظهر دور خلفاء العصر الأول والاهتمام بهم ، لكن العصر العباسي الأخير تميز بشكل كبير في الوقف النسائي المؤسسي الذي ساهم في بناء المدارس الكبرى، و الرباطات ، وكذألك المساجد، بالضافة الى توفير المكتبات العلمية ودعمها (الجميلي، د.ت، ص: ٣٥٦؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٢٧)كان لهذه المؤسسات دوراً مهما في توثيق الوحدة الفكرية للمجتمع البغدادي، حيث كانت للمدارس التي وقفتها النساء (مثل المدرسة البشيرية) مراكز تدرس فيها اهم العلوم الدينية للمذاهب الاسلامية ، كان لها اساهم في تقليل التناحرات المذهبي و توفير حماية للنسيج الاجتماعي من الأفكار الدخيلة(عبيدات، ٢٠٢٠؛ ص: ٣٣٢، ٣٤١). تأتي هذه الدراسة لظهار دور هذه الوقفية لتفتح الافاق امام فهم آليات (الاستدامة المالية) ونظام (الجرايات) الذي سهل للعلماء والطلبة التفرغ العلمي من خلال توفير ما يحتاجون ، الامر الذي انعكس على نهضة فكرية وثقافية عريقة .

مشكلة البحث

على الرغم من الأخبار والبحوث تناولت الوقف النسائي في العصر العباسي الأخير وما قدمه ، لكن الجانب الإداري والمالي المتعلق بالية (مأسسة) ادارة هذه الأوقاف وضمان استمراريتها لم يحظ بالدراسة الكافية ضمن البحوث التاريخية وتظهر مشكلة البحث في مجموعة اسئلة كيف تمكنت المرأة العباسية في تلك الفترة التحول بجهودها الوقفية من الصدقات الفردية إلى تأسيس وإدارة مؤسسات وقفية تعليمية بطابع اجتماعية تمتلك استدامة مالية ولها اثر اجتماعي عابر للمذاهب؟للجابة على هذه التساؤل نحتاج طرح مجموعة من الاسئلة المهمة :

١- ما الآليات الإدارية التي اعتمدها (ناظر الوقف) في انشاء الأصول العقارية والزراعية الموقوفة للمدارس و الرباطات النسائية ؟

٢- كيف اثر نظام (الجرايات) والمخصصات التي قدمتها هذه الاوقاف في جذب العلماء من مختلف البقاع لضمان استمرار العملية التعليمية ؟

3- مدى تأثير (شروط الواقفة) في صنع نموذج تعليمي ساهم في الحد من الصراعات الطائفية داخل المجتمعات الاسلامية ؟

٤ – ما هو الدور و الاهمية اتي لعبتها هذه المؤسسات في توفير منطقة أمان اجتماعي لدعم الفقراء والمحتاجين والحجاج، متاهي الالية التي ادت الى الاستقرار السياسي للدولة ؟

المبحث الاول مدخل الى الوقف النسائي

الشكل العام(للوقف النسائي) ضمن العصر العباسي الأخير (٥٧٥-٦٥٦هـ)العصر العباسي الأخير هو ليس مجرد فترة من الضعف السياسي المتواصل، فقد حدثت عدة محاولات من اجل استعادة مكانة الخلافة واستقلالها الإداري، خاصة في عهد الخليفة (الناصر لدين الله)، الامر الذي ادى الى استقرار المؤسسات المالية والادارية و الاجتماعية (عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٢٧). هنا ضمن هذه التطورات ، ضهر دور كبير للمرأة العباسية كعامل اقتصادية قوي ، مستفيدة من الإمكانات المالية والتحولات الادارية في إدارة موارد الخلافة (العزايزة، ٢٠٠٤، ص: ٤٦). **من اجل إظهار الملامح التأسيسية لهذا الوقف استلزم البحث في امرين مهمين :الاول هو الامر القانوني واهمية استقلال الذمة المالية:** تمتلك المرأة في هذا العصر أهلية قانونية مستقلة كاملة كفلها لها التعاليم الاسلامية ، الذي مكنها واعطا لها حق التصرف والتملك المطلق في املاكها دون قيود تقيد ذألك (العزايزة، ٢٠٠٤، ص:١٢٠). هذا الامر لم يكن مشرع الى الأميرات والحرائر فقط ، بل كان يشمل كل من يعيش ضمن حدود قصر الخلافة من الإماء والمحررات صاحبات المكانة المرموقة فيه ؛ فاصبحن من اصحاب الاملاك الواسعة والاراضي و القرى والضياع، كما ان هناك منهن اصبح لديهن (دواوين) ونواب يديرون لهن شؤونهن المالية بشكل مستقل بالكامل عن ديوان الدولة (العزايزة، ٢٠٠٤، ص:٨٧؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٣٠).**ثانيا التحول من نضام بسط الصدقة إلى بناء المؤسسة الوقفية**شهدت عملية الإنفاق النسائي في هذه العصر تحولا جديدا حيث تحول من نطاق الصدقات الفردية الغير منتظم إلى تأسيس (منشآت) خدمية مستدامة تدار بشكل منتظم(عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٤١). بدل من اعطاء الاموال الى محتاجيها بشكل مؤقت، تحولن النساء الى انشاء المدارس الكبرى وبناء الرباطات و كذألك المساجد، وتحويل ملكية بعض العقارات والاراضي الزراعية لها لتضمن مصدر ماليا مستمرو ثابت (عبيدات،٢٠٢٠،ص:٣٣). من اجل نجاح هذه التطورات واستمرارها بشكلها المؤسسي استلزم بناء هياكل إدارية منتظمة ، اول خطواتها تكليف (ناظر الوقف) السؤول عن ادارة هذه الأصول والتصرف بعائداتها حسب الشروط التي يتم اعتمادها ، الامر الذي اعطى لهذه الأوقاف قوة تنموية جعلتها ثابتة أمام الأوضاع السياسية التي سببت سقوط بغداد (العزايزة، ٢٠٠٤، ص: ١١٨؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٢٩).

المبحث الثاني: الهيكلية التنظيمية لإدارة المؤسسات الوقفية النسائية البنية التنظيمية لإدارة الوقف النسائي

اتصفت إدارة (الوقف النسائي) في (العصر العباسي الأخير) بشكل تنظيمي يثبت استقلالية (الجهات) (أمهات وزوجات الخلفاء) وامكانياتهن على انشاء هياكل إدارية مستقلة عن ادارات و هياكل دواوين الدولة. ويتضح هذا التطور في طرق التأسيس والتمكين والهيكل الاداري للمؤسسات الوقفية.**أولاً:** خيارات التأسيس والسيطرة الإدارية : اول مرحلة من مراحل تأسيس الوقف تبدأ كتابة وثيقة قانونية تعرف بـ(الحجة) توقع أمام القضاء من اجل ضمان حقوق أصول الوقف من الغش والتلاعب والاستحواذ . وقد اهتمت الواقفات، مثل (زمرد خاتون والدة الناصر لدين الله) والجهة (باب بشير)، على اهمية ان تكون (الولاية لأنفسهن) الى اخر عمرهن، الامر الذي اعطاهن دور (المدير التنفيذي) الفعلي للمؤسسة. كما وضعن الواقفات تسلسل يمنحهن السلطة الإدارية لورثتهن بعد وفاتهن من أبنائهن او للمخلصين من اتباعهن، من اجل ضمان استمرار إدارة المؤسسة عند الاشخاص الثقافة (عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٢٩).**ثانياً:** الهيكل الوظيفي و اعتماد(نظام النظارة) ان سبب نجاح (المؤسسات الوقفية النسائية) كالمدرسة (البشيرية و الزمردية)على نضام وظيفي دقيق يديره (ناظر الوقف)،.ويعتبر الناظر المسؤول الاساسي والمخول لاستثمار هذه الاوقاف المالية والعقارية وصرف الايرادات وفق (شرط الواقفة). كما يتكون الهيكل الإداري للوقف من (مشرفين وعمالا) لجمع ايرادات الأراضي والدكاكين، بالإضافة يوجد جهاز يختص بتقديم خدمات لوجستية يتكون من البوابين والطباخين، الامر الذي اعطا تكامل اجتماعي يوفر السكن وكذألك الرزق والعلم. كما ان اصحاب بعض الواقفات لديهن نفوذ دواوين خاص بهن ووكلاء لجراياتهن وأموالهن الكبيرة خارج القصر (العزايزة، ٢٠٠٤، ص: ٨٧).

فريق العمل للمؤسسة الوقفية:ان اعمال الأوقاف النسائية تحتاج تقسيم العمل بشكل منتظم ضمن هيكلية تتيح التوزيع العادل للمهام ، وهذا من الامور التي اعطت فكرة عن الوعي العالي لدى (الجهات والواقفات)؛ فكونو فريق عمل محترف جمع مجموعة من العمال المحترفين من اجل تنفيذ (شرط الواقفة) وتوفير حماية لهذه الموارد من التلف أو الهدر(عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٤١).

١- **ناظر الوقف** يعتبر الناظر الموظف الاساسي في هيكلية الاوقاف ، وهو المخول والمسؤول المباشر عن إدارة الواردات وتوزيع الغلات. ذكرت المصادر التاريخية بعض الشخصيات تولوا مهام (ناظر الوقف) عند السيدات، هنا اثبات عن اهمية هذا المنصب الاداري ؛ ومن الامثلة على إدارة هذه المؤسسات التعليمية، ذكر المؤرخ(ابن الدبيثي)إلى ان (الفقيه الشافعي أبو المظفر بن خميس) الذي عينته العالمة (شهدة الأبري) بوظيفة النظارة والعمل في رباطها المعروف ببغداد (ابن الدبيثي، ٢٠٠٦، ص. ٤٥٦). كما عرف اسم (التاجر أبو السعادات بن أحمد)، الذي اوكلت إليه السيدة(زمرّد خاتون) نظارة وادارة أوقافها الكبيرة ، من اجل ضمان ادارة الأصول المالية والعقارية التابعة لها وتنميتها حسب الشروط الوقفية (ابن الدبيثي، ٢٠٠٦، ص:٥٢٧).

٢ – **الشؤون المالية والرقابية** تأتي بعد وظيفة الناظر وظيفة (المستوفي والجابي) ، وهم جزء مهم من فريق العمل هذه الوظائف من الوظائف الحساسة والمهمة في الادارة المالية :

أ-**(المستوفي):**هو المسؤول عن كتابة السجلات المالية وتنظيمها وتدقيقها في (الداخل والخارج) من واردات الاملاك الوقفية، لضمان عدم سرقتها والتلاعب في الايرادات النقدية (العزايزة، ٢٠٠٤، ص:٨٧).

ب-**(الجابي):** وهي من الوظائف المختص بجمع الإيجارات من مستأجري الحوانيت، والحمامات، وأراضي القرى الموقوفة، وهي وظيفة عملية ميدانية مهمة لتأمين الاموال اللازمة لصرف النفقات (عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٣٠).

٣- **الشؤون الفنية** (الخازن والمشرف) هي من الوظائف اللوجستية ضمن الهيكل الإداري عملها داخل المنشآت والمؤسسات الوقفية؛ مثلا ظهرة في المكتبات الوقفية (خازن الكتب) وهو المسؤول عن الادارة والحفظ (ابن الدبيثي، ٢٠٠٦، ص. ١٨٤). اما (المشرف أو العريف) الذي مهمته مراقبة صيانة المباني واعمالها، حسب القاعدة الإدارية التي وضعتها الواقفات و تنص على ان (إصلاح الوقف مقدم على الصرف) (العزايزة، ٢٠٠٤، ص:١٣٨).

٤- **المكاتب الإدارية** (ديوان الوقف النسائي) اكدت المصادر التاريخية أن إدارة هذه المؤسسات عبرت العمل الفردي إلى وجود مكاتب إدارية تسهم في تنظيم العمل ؛ فكان للجهة (شاهان) (مولاة المستنصر ديوان مفرد ووكلاء ونواب) يعملون على ادارة أوقافها وجراياتها الكبيرة، هنا اثبات على ان (الوقف النسائي) اصبح في هذا الزمان (مؤسسة) مستقلة تتمتع بكيان إداري وقانوني (ابن الساعي، ١٩٣٤، ص: ١٢٠؛ العزايزة، ٢٠٠٤، ص: ٨٧).هذا الكيان الوظيفي المنضم ، الذي ضم بين موظفيه مجموعة من الفقهاء كأبو(المظفر بن خميس) (ابن الدبيثي، ٢٠٠٦، ص:٤٥٦) ومجموعة من الإداريين والوكلاء، هو الذي اعطى لهذه المؤسسات مكنة من خلال الاستدامة المالية و التعليمية التي صمدت أمام المتغيرات السياسية (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٤١).

المبحث الثالث: الاستدامة المالية (الوقف النسائي)

ان (الوقف النسائي) في العصر العباسي الأخير لم يكن مجرد عمل ثابت يحتكر لعمل الخير ، بل اصبح بذكاء وحنكة (الجهات) (أمهات وزوجات الخلفاء) إلى نضام مالية استثمارية يمر بعدة عمليات تنمية واستثمارية دقيقة من اجل بقاء المؤسسة العلمية والاجتماعية (عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٣٠). إن فكرة الاستدامة في هذه الفترة اسست على مبدا أن ((عمارة الوقف مقدمة على الصرف))، الامر الذي تطلب ايجاد تنويع ذكياً في توفير مصادر الدخل (المحضار، ٢٠٢٢، ص: ٢٥٣).**طبيعة الاملاك الموقوفة (تنويع الأنظمة الاستثمارية)**ايقنت الواقفات العباسيات أن اتباع نوع واحد من الأصول يعد خطرا على اسمراريه المؤسسة، فقررن تنويع انواع الأصول الوقفية لتضم قطاعات اقتصادية متنوعة تضمن استمرار مالي في كافة الظروف (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٢). وتشمل هذه الأصول:**أولا: الاملاك التجارية** :كان توجه النساء الاعتماد على المصادر التي توفر مبالغ نقدية منتظمة لتغطية الاجور والنفقات التشغيلية اليومية ((الذهبي، ٢٠٠٣، ص:٢٣٦ ؛عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٣١). منة خلال المصادر التالية:**الحوانيت (الدكاكين)** من خلال تأجيرها لمدة محددة لتوفير ايراد نقدي مستقر (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٣)**الخانات المسافرين:** مثل (أوقاف الجهة هاجر والدة المستعصم) التي ضمت خانات وعقارات كبيرة، تمكنت من توفير سكن امن للتجار والمسافرين والاستفادة من وارداتها لصالح الفقراء والمحتاجين(عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٤٠)**(القيساريات)** :وهي عبارة عن اسواق متخصصة و التي كانت تعطي أرباحا كبيرة بسبب النشاط التجاري الكبير فيها (العزايزة، ٢٠٠٤، ص:٦٦٢)**ثانياً: الأراضي (الضياع والقرى)** :كونت الأراضي الزراعية المورد الرئيسي للاستدامة العينية، كونها كانت تزودهم بالمحاصيل الضرورية (الحبوب والثمار) التي لا تكون ذات ايراد غير متأثر بالسوق من خلال ارتفع السعر او انخفاضه (المحضار، ٢٠٢٢، ص: ٢٥٣)**وقف القرى الخاصة:** يعتبر (وقف زمرد خاتون) (ت ٥٩٩هـ) لـ قرية خاصة بها بمنتجاتها الزراعية كافة لصالح(رباط المأمونية) مثال فريدا لتوفير الغذاء المستمر للعلماء والساكنين بها (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٣١)**(البساتين والضياع)** :تم تخصيص من قبل الواقفات مثل الجهة (شاهان)الكثير من البساتين والعقارات والضياع والاراضي لضمان ايراد سنوي مستمر ينفق حسب توجهاتهن ومقاصدهن في وجوه الخير (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٤٠)ثالثاً: المشاريع الخدمية والإنتاجية :كما استثمرن النساء في الاماكن الاخرى من البنية التحتية التي تدخل في حياة الناس اليومية وتوفر ربح نقدياً واسع (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٢)**حمامات العامة(حمام السوق)** :هي من أكثر المشاريع ربحية، حيث توفر لها ايراد يوميا يستفاد منه في دعم المدارس والمساجد (العزايزة، ٢٠٠٤، ص:٦٣٢)**المهن الصناعية** (الطواحين والمصانع) :ضمت الواقفات (مثل ربيعة خاتون) الطواحين بمدارسهن لتوفير مورد مالي مستقل، حيث يستعمل وارد الطاحونة لتوفير احياجات الطلبة والمعيدين (الظفري، ٢٠٢٥، ص:١٨٧)**الطرق والجسور** :استفادت من هذه المنشئات مثلا (جسر الحديد الذي نصبت عليه الجارية بنفشة) ، الامر ساهم في لتنشيط الحركة التجارية ضمن المنطقة وارتفاع قيمة العقارات الوقفية المجاورة للجسر ((ابن الأثير، ١٩٨٧، ص:١٧٨؛ المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٦). يعد التنويع في المشاريع الموقوفة هو سياسة ادارية لتجنب المخاطر بالضافة إلى فعل الخيري، عندما يصيب واردات العقارات مشكلة بسبب احداث سياسي، يستمر ايراد القرى والضياع ، هذا اعطى قوة للهوية العلمية في بغداد وثبات مؤسساتها لقرون (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٤١؛ المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٦٠)**طرق الاستثمار المستدامة** ظهر الذكاء الإدارية عند المرأة العباسية من خلال تمكنها من توظيف استثمار العقود الفقهية بأساليب مرنة تهدف إلى زيادة الربح وحماية الموارد من التآكل و الضياع الاقتصادي (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٣٠). كانت الادارة عملية (هندسة مالية) تعتمد على الطرق التالية:أولاً: **عقود الاجار ومخاطر التضخم** :وقعت الواقفات على نضام عقود الإجارة (قصيرة وطويلة الأمد) من اجل استثمار العقارات الوقفية الحضرية مثل (الدكاكين، والقيساريات، والحمامات)(عبيدات، ٢٠٢٠، ص. ٣٣١). ضهر هذا التوجه في ادارة أوقاف السيدة (بنفشة) التي اخذت عقارات وحوانيت في (سوق الخبازين) في بغداد، لتوفير اموال فورية عبر ايرادات الإيجارات بشكل منتظم لصرف الجرايات وهو ما ذكره **الذهبي** عند ذكره لها مشيراً إلى كرمها و ارتفاع صدقاتها (الذهبي، ٢٠٠٣، ص:٢٣٦). كانت الإدارة تفضل الإيجارات ذات العقود القصيرة للمحلات التجارية النشطة؛ من اجل امكانية مراجعة الأسعار بعد انتهاء العقد بما يتوافق مع معدلات التضخم و التغييرات على القوة الشرائية ، مما ضمن تدفق اموال يومية وشهرية بشكل منتظمة توفر النفقات المطلوبة للمؤسسات الوقفية (عبيدات، ٢٠٢٠، ص. ٣٣١؛ المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٣)مثال على الذكاء الاداري الاستثماري في نموذج السيدة (زمرد خاتون) التي تمكنت من ببناء مدرسة ورباطها، و أوقفت لها (سوقاً كاملاً) بحوانيته لتوفير مورد مالي مستقل كامل يدر اموال نقدياً دائمة (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ص:١٦٩؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٣١). كذألك اعتمدت الواقفات إلى تسخير المنشآت الخدمية التي لها موارد كبيرة؛ فقد أدرجت السيدة (بابة خاتون) ضمن عقارات وقفها (حماماً) لتوفير مورداً نقدياً مستقر يغطي الاحتياجات المطلوبة دون انتظار موارد الأراضي الموسمية (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٣٧٠). وفي نفس الموضوع، اضافت السيدة (ربيعة خاتون) بمدرستها (طاحونة) لتوفر دورة مالية تضمن حاجة العاملين فيها من المدرسين والطلبة (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٣)**ثانيا: نظام "الحكر"** عن طريق وإحياء الاملاك الميتة فقد استخدمت مؤسسة الوقف النسائي هذا

النظام نظام (الحكر) وهي استراتيجي ادارة الأراضي الوقفية (الخربة) أو (الموات) التي لم تتمكن الميزانية العامة عن ادارته (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٣٩).هنا يتم تأجير هذه العقارات لفترة طويلة الأمد يضمن اعمارها أو استصلاحها بالمقابل يتم تأجيرها بإيجار سنوي ثابتة، تغير طبيعة الأصول المتهالكة إلى أصول منتجة ذات اهمية تزيد من قيمتها في سوق العقار الوقفي بعد فترة من الزمن، مما وفر مورد جديد للمؤسسات التعليمية التي تتبع الوقف (العزايزة، ٢٠٠٤، ص:١٣١؛ المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٦) . مثل اعادة إعمار (رباط المأمونية) (لزمرد خاتون) بعد أن تعرض الى الخراب والهدم نتيجة غرق بغداد سنة(٦٥٠هـ)، فقد تم اعادة اعماره لضمان استمرار مورد مالي للنزلاء والموظفين (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٣١)**ثالثاً: التبادل و نقل الملكية من اجل المحافظة** على (رأس المال الوقفي) اعتمد مبدأ التبادل والمناقلة؛ عنما يفقد العقار مكانته التجارية يتم اللجوء إلى القضاء من اجل استبدال الغير ربحي بآخر أكثر فائدة أو موقعا (العزايزة، ٢٠٠٤، ص:١٢٠). لتعظيم (رأس المال الوقفي) والاستفادة منه عند (نوائب الدهر)، هنا المؤسسات تمكنت من الحفاض على مكانتها من الانهيار المالي الذي مس الدواوين الرسمية في لدولة (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٤٢، ٢٥٣).إن اعتماد هذه القواعد الإدارية المهمة، وفي مقدمتها قاعدة (عمارة الوقف مقدمة على الصرف)، هنا اصبحت الأوقاف النسائية في العصر العباسي الأخير تسمح في صنع توازن كبير بين حماية (العين) وتنمية (الثمرة) (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٣١؛ المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٣)**المخاطر الادارية والحلول المالي** واجهت ادارة (الوقف النسائي في العصر العباسي الأخير) صعوبات تمثلت في تغيير أسعار السلع بشكل متغير، ومخاطر الحروب، والاضطرابات و المشاكل السياسية التي سبقت دخول المغول و سقوط بغداد (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣١٨). هنا تظهر ذكاء الإدارة النسائية في ايجاد أدوات للمحافظة على المال تضمن عدم انقطاع الخدمات التنموية حتى في اصعب الظروف الاقتصادية (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٤)من الامثلة التطبيقية التي من خلال الوقوف بوجه الازمة الاقتصادية التي حدثت في القرن (٧ هـ)، مرت بغداد بأزمات غذائية قوية سببت ارتفاع كبير في أسعار المواد الغذائية، الامر الذي شكل خطر على ميزانيات المدارس (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣١٩). ولتلافي هذه المشكلة ، انشئت سياسة ادارية للخروج من هذه الزمة تمثلت بـ **اولا: ايجاد مخزون ستراتيجي** :من خلال الاعتماد على العقارات الزراعية (القرى والضياع) التي توفر (غلات عينية) بدلاً من الاموال ؛ فقد كان يتم خزن الحبوب ثم توزع على الطلاب والفقراء للسيطرة على تراجع الامكانيات الشرائية لقيمة العملة (عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣١٩).**ثانيا :توزيع العقارات الجغرافي** :اعتمدت الواقفات على اختيار أماكن الأصول منها داخل بغداد واخرى في أطراف بغداد، من اجل استمرار الوارد المالي في ظروف الحصار أو قطع الطرق ثالثاً: المنعة الاقتصادية: تذكر المصادر التاريخية إلى ان من مميزات (للأوقاف النسائية)، هي (المنعة القانونية العالية) (المحضار، ٢٠٢٢، ص: ٢٥٢). في حيها تعرضت الأوقاف السلطانية الممتلكات العامة الى المصادرة عند عزل وزير أو تبديل خليفة، اما أوقاف النساء (الجهات) كانت لهل حصانة (الملكية الخاصة المكفولة شرعاً)، الامر الذي جعل منها ملاذ الآمن بسبب استمرار الجرايات (الرواتب والمؤن) للعلماء والفقراء في كافة الظروف (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٤١؛ المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٣).إن هذا الادارة دليل على أن المرأة العباسية هي ليست (متبرعة)، بل هي ("مهندسة مالية) اسست مؤسسات متمكنة من تمويل نفسها، وهو ما يعرف اليوم (الإدارة الاستراتيجية للموارد) (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٤).

المحث الرابع : الأوقاف النسائية تأثيرها في المجتمع البغدادي(معرفة المخرجات)

ان نجاح المؤسسة الوقفية في (العصر العباسي الأخير) رغم الأصول الكبيرة المرصودة لها ، لم يعمد هذا التوسع مقياس بل اعتبر امكانياته إدارتها الاوقاف النسائية على تقديم خدمات للمجتمع وتحويل (الايراد المادي) إلى (رأس مال بشري) مستمر (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٢٧، ٣٣٠). لقد تمكنت (الجهات) والواقفات في تحويل مؤسساتهن مراكز حضارية متميزة لها تأثير في المعتقدات الفكرية والاجتماعية لمجتمع بغداد (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٤٨).**تأثيرها في التعليمي والفكري** عملت المدارس والرباطات التي أدارتها النساء كـ(مراكز تميز) علمي، شاركت في تثبيت الهوية العلمية للعباسيين في العصر الأخير (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٤١).أولاً: تمكنت من استقطاب مجموعة من الشخصيات العلمية من خلال الحوافز الإدارية: فقد نجحت الإدارة (الوقفية النسائية) في جذب مجموعة من كبار فقهاء وعلماء العصر للتدريس في مؤسساتهن عبر نظام (الجرايات) (الرواتب) المجزية الاستفادة من المساكن الملحقة (عبيدات، ٢٠٢٠، ص. ٣٣١). فقد ذكر (**ابن الأثير** كيف)كانت المدارس النسائية تتسابق في جذب النخبة العلمية (ابن الأثير، ١٩٨٧، ص:١٦٣) اشتهرت (زمرد خاتون أم الخليفة الناصر) كخبيرة إدارية بارعة؛ حيث تمكنت من دعوة الإمام الشافعي فخر الدين النُّوقاني، وأسكنته مسكن المدرسة وأجرت له (مرتب حسن) ضمنت تفرغه الكامل للتدريس، مما جعل مدرستها (مرجع للعلماء وطلبة العلم من مختلف البلاد) (ابن الدبيثي، ٢٠٠٦، ص:١٨٤؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٣١)ثانياً: وقف المعرفة (المكتبات النسائية): كما لعبن دور في حفظ التراثو المعرفة من خلال (البناء الفكري) عبر انشاء مكتبات غنية باهم المخطوطات (الظفري، ٢٠٢٥، ص: ٢٤٩). حيث وضعفي (المدرسة البشيرية) (التي بنتها السيدة باب بشير)(ستة وثلاثين صندوقاً من الكتب)، ضمت مصاحف نادرة بخط (الخليفة عثمان بن

عفان وابن البواب) (عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٣٣). ولضمان تامين هذه النوادر، اشترطت الإدارة (الرهن) كشرط ضامن لاستعارة الكتب، وهو ما يدل على وعي إداري ذكي لحماية الثروة العلمية من الضياع (عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٣٤)ثالثاً: دعم المرأة علمياً (الرباطات كمراكز أكاديمية): عملت (الرباطات) دور فاعل لتوفير اماكن تعليمية متخصصة للنساء، مما بنا طبقة واعية من العالمات والمحدثات ضمن (العصر العباسي الأخير) (العزايزة، ٢٠٠٤، ص: ١٢٢). تحولت الرباطات الى(مجالس علمية وثقافية ودينية) (المحضار، ٢٠٢٢، ص: ٢٥٠)ضهرت(شهدة الأبري فخر النساء) التي تمكنت من أدارت رباطاً علمياً بجدارة، وصارت محدثة شهيرة ياتيها العلماء الرجال والنساء لمنحهم (الإجازات العلمية) (ابن الدبيثي، ٢٠٠٦، ص. ٤٥٦؛ عباسي وآخرون، ١٤٠٠، ص. ٤٦). وقد ذكر **الذهبي** يثبت أن الوقف النسائي صنع طبقة من العالمات المشهورات بعلمهن ونشاطهن والواتي اصبحن مقصد طلاب العلم (الذهبي، ١٩٨٥، ص: ١٠٣؛ الظفري، ٢٠٢٥، ص: ٢٤٨)كما لعبت هذه المؤسسات دور في تخريج فقيهات متمكنات مثل(فاطمة بنت أحمد التي وصلت مقام الاجتهاد)، وكذألك خطاطات مثل(فاطمة بنت الأقرع)التي كانت عملت على كتابة مواثيق الدولة المهمة لجمال خطها (عباسي وآخرون، ١٤٠٠، ص:٤٨؛ الظفري، ٢٠٢٥، ص:٢٤٨)رابعاً: تثبيت التقارب المذهبي: كان للإدارة الوقفية النسائية الفضل الكبير في (تقليل اسباب الخلاف المذهبي)؛ حيث عملت المدارس النسائية (كالبشيرية) على منهج المدرسة المستنصرية في كونها تسير على منهج المذاهب السنية الأربعة (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٤١). مما حقق ترابط اجتماعي (التآلف الاجتماعي) منة خلال جمع طلبة العلم من مختلف المدارس الفقهية في صرح علمي واحد (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٣٢، ٣٤١) إن هذه النتائج اتثبت أن دور الوقف النسائي كان (محركاً تنموياً) تمكن من خلاله (الجنس اللطيف) إدارة اصعب المؤسسات التعليمية وتوفير ضمان استمرار دورها لقرون (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٤٩؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٤١)**تأثيرها على الرعية (شبكات الضمان الاجتماعي)**لم يكون تأثير (الوقف النسائي في العصر العباسي الأخير) على الجوانب التعليمية فقط، بل تمكنت من صناعة (شبكة أمان اجتماعي) وفرت حماية الى الفئات الضعيفة في المجتمع وتوفير الرعاية الكاملة لهم ، الامر الذي اوصلها انن تكون شريكاً مهما في استقرار وبناء المجتمع (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٢٧؛ المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٤٨).أولاً: **تحول الرباطات الى الابتكار الاجتماعي:** تحولت (الأربطة) التي اسستها النساء تحول اجتماعياً جديد من خلال تمكين المرأة وحمايتها؛ تغير الرباط من منشأة عسكرية سياسية ، الى إلى مراكز رعاية تخصصية (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٠). ملجا امن :من اجل توفير المسكن والحماية فقد تمكنت رباطات مثل (رباط البغدادية) (الذي بنته تذكار باي خاتون) و (رباط دار الشط) ان يصبح سكن كريما للأرامل، وكذألك للمطلقات، والنساء المنقطعات اللواتي لا سند لهن (الظفري، ٢٠٢٥، ص:٢٤٨؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٣٧).التدبير ودعم المقدرة: اتصفت هذه الرباطات ان ادارتها بواسطة (شيخات) يملكن خبرة علمية ، يقدمن دروس ارشادية و مواضيع علمية للنزيلات، الامر الذي يؤمن كرامتهن ويعطيهنه استقلال و معرفة (الفريسية، ٢٠٢٥، ص. ٢٢؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص. ٣٣٧). ومن الامثلة على هذه النماذج (رباط المأمونية) (لزمرد خاتون) والذي يوفر فيه الاحتياجات من سكن وطعام بالإضافة الى حلقات العلم في بنفس الوقت (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٠). **ثانياً: الادارة الصحية ودعم المارستانات(المستشفيات):** وثقت الواقفات العباسيات تقدم في دعم و رعاية القطاع الصحي عبر ايجاد وقف لصالح البيمارستانات (المستشفيات)، الامر الذي وفر احتياجات وخدمات طبية مجانية ثابتة (عبيدات، ٢٠٢٠، ص. ٣٤١)**التمويل المستمر للعلاج:** تم توفير الاحتياجات لهذه المؤسسات الصحية من خلال ايراد الأراضي الزراعية؛(فبيمارستان السيدة) (أصل نموذج الإدارة الصحية النسائية) كانت تصل نفقاته الشهرية الى ٦٠٠ دينار تؤخذ من أوقاف الأراضي لتوفير رواتب الأطباء، وشراء الادوية، وتجهيز الطعام للمرضى بدون مقابل (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٤٩؛ الفريسية، ٢٠٢٥، ص:٢٣)**الرعاية الشاملة:** لم يقف الوقف على العلاج فقط، بل وفر مخصصات لختان الاطفال أيتام الفقراء و توفير الكسوة لهم، وشراء (أدوية وأشربة) مجانية يتم توزعها بانتظام، مما ساهم في تقليل آثار الأوبئة ومشاكل الفقر في المدن الكبرى (الفريسية، ٢٠٢٥، ص:٢٣؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص: ٣٤٠)**ثالثاً: إطعام الفقراء ونظام (السماط) المستدام:** تعد الأوقاف المخصصة لتوفير الطعام مصدر أمان اقتصادي، خاصة في سنوات الجوع و تغيير الأسعار (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٤١)**الولائم الوقفية (السماط):** عرف عن الواقفات، مثل وقف (زمرد خاتون)، عمل (سماط عظيم) (موائد طعام كبيرة) في الاعياد وعند افتتاح المنشآت الوقفية، ورصد مبالغ مالية شهرية كبيرة (٥٠٠ دينار شهرياً في بعض الرباطات) من اجل توزيع الخبز والطعام واهداء اللحوم على الفقراء والساكنين بانتظام (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٣١، ٣٣٩). **التوزيع العيني المالي:** لسلامة الفقراء وعدم تأثرهم بالتضخم، عملت الإدارة الوقفية على توزيع المنح (الجرايات العينية) من محاصيل الزراعية الواردة من القرى الموقوفة (مثل القمح والزيت)، مما وفر قوت يومهم بدون الخوف من تقلبات العملة النقدية (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣١٩).

هذا دليل على ان الرعائي أثبت (الوقف النسائي) هو (محرك تنموي) واقعي، حيث تمكن النساء في تحويل ايرادات ثرواتهن إلى أصول وقفية اجتماعية ادتالى تماسك المجتمع العباسي في اصعب ظروفه على مر التاريخية (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥١؛ عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٤١).

الاثار العمراني (هندسة المدن العباسية)كان للوقف النسائي دور كبير في إعادة رسم الخارطة العمرانية لمدينة لبغداد وتطوير بنيتها التحتية:

١. بناء المرافق العامة :ذكر التاريخ نشاط الجارية (بنفشة) في بناء جسر من الحديد في منطقة الرقة لعبور النهر (المحضار، ٢٠٢٢، ص:٢٥٦). كما عملت الواقفات على صيانة (درب زبيدة) وتوفير المياه من خلال حفر الآبار وإصلاح وسائل توفير المياه من اجل سقيا الحجيج على طريق الحج الى مكة (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٣٩؛ابن كثير، ١٩٨٨، ص: ٥٢٣)

٢. توفير فرص العمل :تحولت المؤسسات الوقفية إلى (محركات اقتصادية) عينت آلاف البنائين، ومعهم النجارين، وبالإضافة الى المدرسين، وموظفي المحاسبة (المستوفين)؛ الامر الذي أدى إلى ازدهار الأسواق المحلية القريبة من الأوقاف (المحضار، ٢٠٢٢، ص: ٢٥١).

٣. الطراز المعمار :أضف الطراز المعماري الوقفي النسائية طراز خاصة على المدن بشكل جميل عبر استخدام النقوش والزخارف المذهبة والمآذن الجميلة، مثل منارة (جامع الخفافين)التي تعتبر من المنارات القديمة المبنية في بغداد، مما زاد من مكانة المدينة (السياحة الدينية) الحضارية (عبيدات، ٢٠٢٠، ص:٣٤١).

الخاتمة والنتائج

يؤكد البحث إلى أن دوائر (الوقف النسائي) ضمن العهد العباسي الاخير لم يكن مجرد مرحلة تاريخية، بل هي تجربة متميزة في (الإدارة الاستراتيجية للعمل الخيري)، كان لها الفضل في حفظ هوية المجتمع ودعمه أمام المشاكل السياسية والاقتصادية ليقف بثبات واستقرار. وقد خرجت الدراسة إلى النتائج المهمة التالية:

١. الإدارة الناجحة وحماية الأصول :أثبتت (المرأة العباسية) نجاح كبير في (إدارة الأصول) وحمايتها من الانهيار؛ من خلال استخدام (الشروط العشرة) كوسيلة قانونية اعطتها مرونة في (الزيادة، والنقصان، والبدل، والاستبدال)، سمح لها مواجهة استعمال القيمة الرأسمالية للوقف. كما حصلت هذه الأوقاف على حصانة قانونية كبيرة؛ كونها تعد ملكية خاصة مضمونة شرعا لا يمكن التعدي عليها بخلاف الأوقاف السلطانية، اعطا قوة للمنشآت الوقفية كي تعمل بكفاءة رغم الأزمات العسكرية التي مرت بها قبل سقوط بغداد.

٢. العمل النوعي والتكامل الى جانب الدولة :بينما كانت الدولة في أواخر مشغولة بالمهام السياسية والعسكرية، عملت (أوقاف النساء) على سد الفراغات التنموية والرعائية بعمل نوعي من خلال دعم الـ (المرأة، الطفل، والفقراء). وقد ظهر هذا في ادارة (الأربطة النسائية) والتي وفرت لهم السكن ومراكز المعرفة خاصة الى للأرامل والمطلقات، وبناء البيمارستانات ذات كفاءة عالية، مما وفر شبكة رعاية اجتماعي كملت قلة الخدمات الرسمية وثبتت التماسك النسيج بين فئات المجتمع .

٣. الاستدامة ونشر الوعي المالي :يعد بقاء هذه الآثار التاريخية شاخصة حتى اليوم هودليل على (الوعي المالي الاستباقي) الذي تملكه الواقفات؛ حيث كانت الإدارة لها قاعدة ذهبية تؤكد على أن (عمارة الوقف مقدمة على الصرف للمستحقين). جعلها ملتزمة باقتطاع مبلغ مالي ثابت للترميم واعمال الصيانة قبل توزيع الايرادات هو ادى الى استمرار عمل المؤسسة وحماها من الانهيار.

التوصيات

من خلال النتائج المستخلصة من الدراسة، توصي بما يلي:

- كتابة سيرة النساء الواقفات في المناهج الدراسية لتثبيت الوعي بدورهن الكبير وإظهار الدور المشرق للمرأة المسلمة نحو مجتمعها .
- اعتماد نموذج (التنويع في محفظة الأصول) في ادارة الأوقاف في الوقت الحاضر (زراعي، عقاري، خدمي) اعتمادا على التجربة العباسية لتامين اسمرار الإيرادات في كافة الاوضاع الاقتصادية .
- دعم الحوكمة والتسجيل الرسمي للأوقاف؛ كان تثبيت الاوقاف في السجلات القضائية امام كبار القضاة وفر حماية وضمانات الى تلك المؤسسات من الانهيار عبر الازمنة .
- اعتماد الموارد الوقفية على (الاستثمار في الإنسان)، من خلل التعليم وتوفير الرعاية الصحية المتميزة للفئات المجتمع الضعيفة، كونها المخرج الأبقى وله أثرا كبير في ذاكرة التاريخ.

قائمة المصادر والمراجع

Ibn al-Athir, Izz al-Din Abi al-Hasan Ali bin Muhammad (1987). Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History). Edited by: Abi al-Fida Abdullah al-Qadi. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyah.

Ibn al-Jawzi, Abi al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali (1992). Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam (The Regular Record of the History of Kings and Nations). Edited by: Muhammad and Mustafa Abd al-Qadir Ata. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyah.

Ibn al-Dubaythi, Abi Abdullah Muhammad bin Saeed (2006). Dhayl Tarikh Madinat al-Salam (Supplement to the History of the City of Peace). Edited by: Bashar Awad Marouf. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.

Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad bin Ahmad (2003). Tarikh al-Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-A'lam (The History of Islam and Deaths of Notable and Famous People). Edited by: Omar Abd al-Salam Tadmuri. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.

Al-Jawzi, Sibt (1434 AH). Mir'at al-Zaman fi Tawarikh al-A'yan (Mirror of Time in the History of Notables). Edited by: Ibrahim al-Zaybaq. Damascus: Dar al-Risala al-Alamiya.

Obaidat, Mahmoud (2020). Idarat al-Awqaf al-Nisa'iyah fi Baghdad (Dirasa Tarikhiya) (Management of Women's Endowments in Baghdad: A Historical Study). Amman: Department of the National Library.

Al-Azaizeh, Raad Mahmoud (2004). Al-Khadamat al-Ammah wa al-Awqaf fi Baghdad fi al-Usur al-Abbasiyah al-Muta'akhira (Public Services and Endowments in Baghdad during the Late Abbasid Eras). Baghdad: Al-Majma' al-Ilmi.

Al-Mahdar, Faiza bint Abdullah (2022). Al-Awqaf al-Niswiyah fi al-Fikr al-Islami (Al-Mu'assasat al-Tarbawiyah Unmudhajan) (Women's Endowments in Islamic Thought: Educational Institutions as a Model). The Electronic Interdisciplinary Miscellaneous Journal, Issue 51.

Marouf, Naji (1967). Alimat Baghdad fi al-Asr al-Abbasi (Female Scholars of Baghdad in the Abbasid Era). Baghdad: Dar al-Jumhuriyah.